الباب الرابع

في ذكر ديوان الصالحين ﷺ أجمعين[1]

سمعت الشيخ ﷺ يقول: الديوان يكون بـ«غار حراء» الذي كان يتحنث فيه النبي ﷺ قبل البعثة.

قال ﷺ: فيجلس الغوث خارج الغار ومكة خلف كتفه الأيمن، والمدينة أمام ركبته اليسرى، وأربعة أقطاب عن يمينه وهم مالكية على مذهب الإمام مالك بن أنس ﷺ وثلاثة أقطاب عن يساره واحد من كل مذهب من المذاهب الثلاثة، والوكيل أمامه ويسمى قاضي الديوان، وهو في هذا الوقت مالكي أيضًا من بني خالد القاطنين بناحية البصرة، واسمه سيدي محمد بن عبد الكريم البصراوي، ومع الوكيل يتكلم الغوث، ولذلك سمي وكيلاً؛ لأنه ينوب في الكلام عن جميع من في الديوان.

قال: والتصرف للأقطاب السبعة على أمر الغوث، وكل واحد من الأقطاب السبعة تحته عدد مخصوص يتصرفون تحته، والصفوف الستة من وراء الوكيل، وتكون دائرتها من القطب الرابع إلى الذي على اليسار من الأقطاب الثلاثة، فالأقطاب السبعة هم أطراف الدائرة، وهذا هو الصف الأول، وخلفه الثاني على صفته وعلى دائرته، وهكذا الثالث إلى أن يكون السادس آخرها.

قال: ويحضره النساء، وعددهن قليل وصفوفهن ثلاثة، وذلك في جهة الأقطاب الثلاثة التي على اليسار فوق دائرة الصف الأول في فسحة هناك بين الغوث والأقطاب الثلاثة.

قال ﷺ: ويحضره بعض الكمّل من الأموات، ويكونون في الصفوف مع الأحياء، ويتميزون بثلاثة أمور:

أحدها: إن زيهم لا يتبدل بخلاف زي الحي وهيئته، فمرة يحلق شعره، ومرة يجدد

---

(١) قلت: تلك الأمور التي يذكرها السادة جميعها حق لا يخفى على من ذاق وعرف ومن بحورهم المباركة رشف أو اغترف- سبحان الله العظيم- تلك أمورٌ يؤجر العبد على تصديقها، فما بالك إذا فُتح عليك وكنت من أهلها فإنها السعادة، فتشاهد وتخاطب، فما أورد الشيخ بنصه بل وزيادة وزيادة عن ذلك حق لا جدال فيه، ومنها الصلاة والذهاب إلى جبل قاف، وأرض السمسمة ...

ثوبه، وأمّا الموتى فلا تتبدل حالتهم، فإذا رأيت في الديوان رجلاً على زي لا يتبدل فاعلم أنه من الموتى، كأن تراه محلوق الشعر ولا ينبت له شعر، فاعلم أنه على تلك الحالة مات، وإن رأيت الشعر على رأسه على حالة لا يزيد ولا ينقص ولا يحلق فاعلم أيضًا أنه ميت، وأنه مات على تلك الحالة.

ثانيها: إنه لا تقع معهم مشاورة في أمور الأحياء؛ لأنهم لا تصرف لهم فيها، وقد انتقلوا إلى عالم آخر في غاية المباينة لعالم الأحياء، وإنما تقع معهم المشاورة في أمور عالم الأموات.

قال ﷺ: ومن آداب زائر القبور إذا أراد أن يدعو لصاحب قبر ويتوسل إلى الله تعالى بولي من أوليائه في إجابة دعوته أن يتوسل إليه تعالى بولي ميت، فإنه أنجح لمقصوده وأقرب لإجابة دعوته.

ثالثها: إن ذات الميت لا ظل لها، فإذا وقف الميت بينك وبين الشمس فإنك لا ترى له ظلاً، وسره أنه يحضر بذات روحه لا بذاته الفانية الترابية، وذات الروح خفيفة لا ثقيلة، وشفافة لا كثيفة.

قال لي ﷺ: وكم مرة أذهب إلى الديوان أو إلى مجمع من مجامع الأولياء وقد طلعت الشمس، فإذا رأوني من بعيد استقبلوني، فأراهم بعيني رأسي متميزين، هذا بظله وهذا لا ظل له.

قال ﷺ: والأموات الحاضرون في الديوان ينزلون إليه من البرزخ يطيرون طيرًا بطيران الروح، فإذا قربوا من موضع الديوان بنحو مسافة نزلوا إلى الأرض ومشوا على أرجلهم إلى أن يصلوا إلى الديوان تأدبًا مع الأحياء وخوفًا منهم.

قال: وكذا رجال الغيب إذا زار بعضهم بعضًا فإنه يجيء يسير بروحه، فإذا قرب من موضعه تأدب ومشى مشي ذاته الثقيلة تأدبًا وخوفًا.

قال: وتحضره الملائكة وهم من وراء الصفوف، ويحضره أيضًا الجن الكمّل وهم الروحانيون، وهم من وراء الجميع، وهم لا يبلغون صفًّا كاملاً.

قال ﷺ: وفائدة حضور الملائكة والجن أن الأولياء يتصرفون في أمور تطيق ذواتهم

الوصول إليها، وفي أمور أخرى لا تطيق ذواتهم الوصول إليها، فيستعينون بالملائكة وبالجن في الأمور التي لا تطيق ذواتهم الوصول إليها.

قال: وفي بعض الأحيان يحضره النبي ﷺ فإذا حضر ﷺ جلس في موضع الغوث، وجلس الغوث في موضع الوكيل، وتأخر الوكيل للصف، وإذا جاء النبي ﷺ جاءت معه الأنوار التي لا تطاق، وإنما هي أنوار محرقة مفزعة قاتلة لحينها، وهي أنوار المهابة والجلالة والعظمة، حتى إنا لو فرضنا أربعين رجلاً بلغوا في الشجاعة مبلغًا لا مزيد عليه ثم فوجئوا بهذا الأنوار فإنهم يصعقون لحينهم، إلا أن الله تعالى يرزق أولياءه القوة على تلقيها، ومع ذلك فالقليل منهم هو الذي يضبط الأمور التي صدرت في ساعة حضوره ﷺ.

قال: وكلامه ﷺ مع الغوث.

قال: وكذلك الغوث إذا غاب النبي ﷺ تكون له أنوار خارقة حتى لا يستطيع أهل الديوان أن يقربوا منه، بل يجلسون منه على بعد، فالأمر الذي ينزل من عند الله تعالى لا تطيقه ذات إلا ذات النبي ﷺ وإذا خرج من عنده ﷺ فلا تطيقه ذات إلا ذات الغوث، ومن ذات الغوث يتفرق على الأقطاب السبعة، ومن الأقطاب السبعة يتفرق على أهل الديوان.

وأمّا ساعة الديوان فقد سبق الكلام عليها، وإنما هي الساعة التي ولد فيها النبي ﷺ وأنها هي ساعة الاستجابة من ثلث الليل الأخير التي وردت بها الأحاديث، كحديث: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ**»[1].

* **قلت**: ومن أراد أن يظفر بهذه الساعة فليقرأ عند إرادة النوم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً**﴾ [الكهف:١٠٧-١٠٨] إلى آخر السورة، ويطلب من الله تعالى أن يوقظه في الساعة

---

(١) أخرجه مالك (١/ ٢١٤، رقم ٤٩٨)، وأحمد (٢/ ٤٨٧، رقم ١٠٣١٨)، والبخاري (١/ ٣٨٤، رقم ١٠٩٤)، ومسلم (١/ ٥٢١، رقم ٧٥٨) وأبو داود (٢/ ٣٤، رقم ١٣١٥)، والترمذي (٥/ ٥٢٦، رقم ٣٤٩٨) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١/ ٤٣٥، رقم ١٣٦٦). وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٨٠، رقم ١١٠٢).

المذكورة، فإنه يفيق فيها، ذكره الشيخ عبد الرحمن [الثعلبي][1] ﷺ وقد جربناه ما لا يحصى وجربه غيرنا، حتى إنه وقع لجماعة غير ما مرة أن يقرأوا الآية المذكورة، ويطلبون من الله تعالى الإفاقة في الساعة المذكورة، كل واحد منهم يفعل ذلك في خاصة نفسه من غير أن يعلم به صاحبه، وإذا أفاقوا أفاقوا جميعًا في وقت واحد.

وسمعته ﷺ **يقول**: إن الديوان أولاً كان معمورًا بالملائكة، ولما بعث الله النبي ﷺ جعل الديوان يعمر بأولياء هذه الأمة، فظهر أن أولئك الملائكة كانوا نائبين عن أولياء هذه الأمة المشرفة، حيث رأينا الولي إذا خرج إلى الدنيا وفتح الله عليه وصار من أهل الديوان، فإنه يجيء إلى موضع مخصوص في الصف الأول أو غيره، فيجلس فيه ويصعد الملك الذي كان فيه، فإذا ظهر ولي آخر جاء إلى موضع ويصعد الملك الذي في ذلك الموضع، وهكذا كانت بداية عمارة الديوان حتى كمل ـ ولله الحمد ـ كلما ظهر ولي صعد ملك.

وأمّا الملائكة الذين هم باقون فيه، ويكونون خلف الصفوف الستة كما سبق، فهم ملائكة ذات النبي ﷺ الذين كانوا حفاظًا لها في الدنيا، ولما كان نور ذاته ﷺ مفرقًا في أهل الديوان بقيت ملائكة الذات الشريفة مع ذلك النور الشريف.

قال ﷺ: وإذا حضر النبي ﷺ في الديوان، وجاءت معه الأنوار التي لا تطاق بادرت الملائكة الذين مع أهل الديوان ودخلوا في نوره ﷺ فما دام النبي ﷺ في الديوان لا يظهر منهم ملك، فإذا خرج النبي ﷺ من الديوان رجع الملائكة إلى مراكزهم، والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول**: إن في كل مدينة من المدن عددًا كثيرًا من الملائكة مثل السبعين ملكًا أو أقل أو أكثر، يكونون موجودين عونًا لأهل التصرف من الأولياء فيما لا تطيقه ذات الولي.

قال ﷺ: وهؤلاء الملائكة الذين يكونون في المدن يكونون على هيئة بني آدم:

فمنهم: من يلقاك في صورة خواجة.

ومنهم: من يلقاك في صورة فقير.

---

(١) في (أ) صحفت: الثعالبي. والثعلبي صاحب «الكشف والبيان في تفسير القرآن» وانظره في (٨/ ١٨٩).

ومنهم: من يلقاك في صورة طفل صغير.

وهم منغمسون في الناس ولكن الناس لا يشعرون.

وحكى لنا ﷺ في هذا الباب حكايات فيها من الأسرار ما لا يكيف ولا يطاق، وسبب ذكره ﷺ لهذا الكلام أنه سمعني أقول لبعض من حضر: إنهم ذكروا أن من أخذ سفرًا من [أسفار حديث سيدي محمد بن إسماعيل][1] البخاري، وذهب به إلى ضريح ولي وفتحه وتوسل برجال سنده وبذلك الولي إلى الله تعالى، فإن حاجته تقضى، ولا سيما إن كان هو السفر الأخير، ثم استفهمته ﷺ عن صحة ما ذكر.

فقال ﷺ: إن في كل مدينة عددًا من الملائكة، فإذا رأوا العبد يطلب من الله شيئًا، فإن رأوا القدر سبق به سددوه وكانوا معه، فيحضره التوفيق ويزول الشيطان من الطريق، وإن رأوا خلاف ذلك تركوه فحضره الشيطان، وحينئذ فإذا رأوا من أخذ سفرًا من سيدي البخاري ذاهبًا به إلى ضريح، ورأوا حاجته مقضية سددوه وألقوا في قلبه الإلحاح والتلهف على طلبته، وذهبوا معه إلى الضريح وهو حامل لجرم السفر وهم حاملون لأسراره، فإذا دعا أمنوا على دعائه فتقضى حاجته، وإن رأوا الحاجة غير مقضية أخذوا أسرار الكتاب وذهب هو بالجرم فقط، ويعرض له الشيطان في الطريق بالوسوسة وتشتيت الفكر حتى لا تبقى له حلاوة في الدعاء.

فقلت له: فما السر الزائد على جرم الكتاب الذي يأخذونه؟

فقال ﷺ: فما السر الذي امتاز به جرم العسل على جرم القطران؟

قلت: الحلاوة.

قال: وهي معنى زائد على جرمه؟

قلت: نعم.

فقال: كذلك كل كتاب فيه سر زائد عليه، وكما أن العسل إذا زالت حلاوته لا ينفع في بابه، كذلك الكتاب إذا أخذ سره.

---

(١) سقطت من (أ).

قال ﷺ: وكم من ورقة وكاغد مكتوب فيه أسماؤه تعالى يوجد في الأرض ساقطًا ويطؤه الناس بأرجلهم، ولولا أن الملائكة يأخذون أسرار تلك الأسماء لهلك جل الناس، والحمد لله على فضله ومنته، والله أعلم.

ـ **وسألته** ﷺ: هل يحضر الديوان الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ مثل سيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وغيرهما من الرسل، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام؟

فقال ﷺ: يحضرونه في ليلة واحدة في العام.

قلت: فما هي؟

قال: ليلة القدر، فيحضره في تلك الليلة الأنبياء والمرسلون، ويحضره الملأ الأعلى من الملائكة المقربين وغيرهم، ويحضره سيد الوجود ﷺ ويحضره معه أزواجه الطاهرات وأكابر صحابته الأكرمين ﷺ أجمعين.

ـ **وسألته** ﷺ عن الخلاف الذي بين المحدثين في تفضيل مولاتنا خديجة على مولاتنا عائشة والعكس.

فقال ﷺ: رأيناهما مع النبي ﷺ في الديوان ليلة القدر، فرأينا نور عائشة يزيد على نور خديجة، رضي الله عنها.

ثم ذكر لنا ﷺ **سبب ليلة القدر فقال:**

إن العالم قبل خلق النور في جرم الشمس كان مظلمًا، والملائكة عامرون له أرضًا وسماء، وفي الكهوف والسهول والجبال والأودية فلما خلق الله تعالى النور في الشمس وأضاء العالم بها ضجت ملائكة السماء وملائكة الأرض، وخافوا من خراب العالم ومن أمر عظيم ينزل بهم، فنزل ملائكة السماء إلى الأرض وجعلوا هم وملائكة الأرض يفرون من الضوء إلى الظل ـ أي: من ضوء النهار إلى ظل الليل ـ فرارًا من الضوء الذي لم يعرفوه إلى الظل الذي يعرفونه، خائفين متضرعين مجتمعين على الابتهال إلى الله تعالى، والتضرع له، والخوف منه، يطلبون منه الرضا، ويلجأون إليه في ألّا يسخط عليهم.

ولم يكن في ظنهم إلا أنه تعالى أراد أن يطوي هذا العالم، فاجتمعوا على التضرع والابتهال على الصفة السابقة مقدرين في كل لحظة وقوع ما خافوه، فإذا زاد إليهم الضوء

فروا عنه إلى الظل، ولم يزالوا على تلك الحالة الضوء ينسخ الظل وهم يفرون إلى أن طافوا الأرض كلها، ورجعوا إلى الموضع الذي بدأوا منه، فلما لم يروا شيئًا وقع حصل لهم الأمن ورجعوا إلى مراكزهم في الأرض والسماء، ثم صاروا يجتمعون ليلة من كل عام، فهذا هو سبب ليلة القدر.

* **قلت**: فهذا يقتضي أن ليلة القدر كانت قبل خلق آدم عليه السلام وفي الحديث ما يقتضي أنها خاصة بهذه الأمة.

فقال رضي الله عنه: الذي اختص بهذه الأمة الشريفة أجرها وخيرها والتوفيق لمعرفتها ببركة نبينا صلى الله عليه وسلم وأمّا الأمم السابقون فإنهم لم يوفقوا لها، كساعة الجمعة فإنها كانت يوم خلق الله تعالى آدم عليه السلام ولم توفق لها أمة من الأمم غير هذه الأمة الشريفة، فإنها عرضت على اليهود فاختاروا السبت، وعلى النصارى فاختاروا الأحد، وفقنا الله تعالى لها بمنه وجوده، والله أعلم.

- **وسألته** رضي الله عنه عن سبب ساعة الجمعة؟

فقال رضي الله عنه: سببها أنه تعالى لما فرغ من خلق الأشياء، وكان ذلك في آخر ساعة من يوم الجمعة، اجتمعت الخلائق كلها على الدعاء والتضرع إلى الله تعالى في أن يتم النعمة على ذواتهم، ويعطيهم ما يكون سببًا في بقائها وصلاحها مع رضاه تعالى عليهم وعدم سخطه.

قال رضي الله عنه: وينبغي للشخص إذا فتح عليه في ساعة الجمعة ووفق لها أن يدعو بنحو هذا الدعاء، ويسأل الله تعالى خير الدنيا وخير الآخرة، فإن ذلك هو الذي صدر من باطن المخلوقات يومئذ، ولم يكن دعاؤهم مجردًا للآخرة، فإذا وفق الشخص للساعة المذكورة ووافق الدعاء المذكور نجح مرغوبه.

قال رضي الله عنه: وهذه الساعة القليلة جدًّا إنما هي قدر الركوع مع طمأنينته، وذلك قدر ما يرجع كل عضو من المتحرك إلى موضعه ويسكن فيه، وتسكن عروقه وجوارحه من الحركة الناشئة عن التحرك السابق.

قال رضي الله عنه: وهذه الساعة تنتقل ولكن في يوم الجمعة خاصة، فمرة تكون قبل الزوال تنتقل في ساعته، ومرة تكون عند الزوال وبعده تنتقل في ساعاته إلى غروب الشمس.

فسمعته رضي الله عنه **يقول**: تبقى قبل الزوال ستة أشهر، وبعد الزوال ستة أشهر.

وسمعته مرة أخرى يقول: إنها في زمنه ﷺ كانت في الوقت الذي كان يخطب فيه النبي ﷺ وذلك عند الزوال، وفي زمن سيدنا عثمان ﷺ انتقلت فصارت بعد الزوال، وصار وقت الخطبة وقت اجتماع الناس للصلاة فارغًا منها، مع أن الخطبة والاجتماع إنما شرعه النبي ﷺ لإدراك الساعة المذكورة.

قال ﷺ: ولكن لما كان قيام النبي ﷺ ووقوفه خطيبًا متضرعًا خاشعًا لله تعالى لا يعادله شيء حصل للوقت الذي قام فيه النبي ﷺ شرف عظيم ونور كثير، فصار ذلك الوقت بمثابة ساعة الجمعة أو أفضل، فمن فاتته ساعة الإجابة وأدرك ساعة وقوفه ﷺ لم يضع له شيء، ولهذا لم يأمر النبي ﷺ بنقل الخطبة إلى ساعة الجمعة كلما انتقلت؛ لأن ساعة [وقوفه] ﷺ لا تنتقل، فكانت أولى بالاعتبار من ساعة الجمعة التي تنتقل؛ لما في ذلك ـ أعني: عدم نقل الخطبة ـ من الرفق بالأمة المشرفة.

وأيضًا فإن أمر ساعة الجمعة غيب وسر لا يطلع عليها [أحد] إلا الخواص، وساعته ﷺ ظاهرة مضبوطة بالزوال فلا تخفى على أحد، فكانت أولى بالاعتبار.

وعلى هذا فمن لم يصل الجمعة عند الزوال وكانت عادته أن يؤخرها، فقد فرطوا في ساعة النبي ﷺ يقينًا، وهم على شك في إدراك ساعة الجمعة، فقد ضيعوا اليقين بالشك، وذلك تفريط عظيم، نسأل الله التوفيق لما نهجه ﷺ.

فقلت: ونحن في المغرب إذا خطبنا في الزوال وأردنا مصادفة ساعته ﷺ فإنا لا ندركها؛ لأن زوالنا يتأخر عن زوال المدينة بكثير، فينبغي لنا أن نتحرى ساعته ﷺ قبل الزوال، وذلك يفضي إلى صلاة الجمعة قبل الزوال، وهذا لا يجوز، فكيف الحيلة؟

فقال ﷺ: سر ساعته ﷺ سارٍ في سائر الزوالات مطلقًا، فلا يعتبر زوال دون زوال، كما لا يعتبر غروب دون غروب، وطلوع دون طلوع، بل المعتبر طلوع كل قطر وغروب كل مكان، فإنا نصلي الصبح على فجرنا لا على فجر المدينة المنورة، ونفطر على غروبنا لا على غروبها، وهكذا سائر الأحكام المضافة إلى الأوقات، ومن جملة ذلك: الزوال.

ثم طلبت من الشيخ ﷺ ورغبت إليه في أن يبين لنا كيفية انتقالها، ووجه تدريجها، وكيف كانت في آخر ساعة من الجمعة، ثم جعلت تنتقل قليلاً قليلاً بالقهقرى حتى بلغت إلى الزوال، ثم زادت إلى أن كانت قبله صاعدة إلى أول النهار، ثم كيف ترجع عودها على بدئها إلى أن ترجع إلى آخر النهار، مع أن سرها السابق يقتضي ألّا تنتقل.

وكذلك سر ليلة القدر يقتضي ألّا تنتقل كما لم تنتقل ساعة ثلث الليل الأخير، وهي

ساعة ولادته ﷺ ثم ساعة الجمعة في غاية الصغر، فكيف تستوعب في ستة أشهر من غروب الشمس إلى الزوال، وتستوعب في ستة أخرى من الزوال إلى طلوع الشمس، اللهم إلا إذا كانت [تكبر][1].

فقال ﷺ: شرح ما سألت عنه منهي عنه.

* **قلت**: ولنذكر الأحاديث الشاهدة لكلام الشيخ ﷺ الدالة على أنه وارد:

أمّا قوله: إن ساعة الجمعة وفقت لها هذه الأمة دون غيرها من الأمم، فدليله ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بَيْنَ أُمَم أُوتُوا الْكِتَابَ قَبْلَنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ، فَهَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ هَدَانَا اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَالْيَوْمُ لَنَا وَغَدًا لِلْيَهُودِ وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**»[2].

وأمّا قوله: وإنها تنتقل وإنها قليلة جدًّا، فدليله ما أخرجه أبو داود عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُهْبِطَ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ شَفَقًا مِنَ السَّاعَةِ إِلَّا الْجِنُّ وَالْإِنْسُ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[3].

وقال مسلم في «صحيحه»: «**فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا**»[4].

وقال في شأن الساعة: «**وَهِيَ سَاعَةٌ خَفِيفَةٌ**»[5].

وقال: «**لَا يُوَافِقُهَا مُسْلِمٌ قَائِمٌ يُصَلِّي**»[6].

وقال مسلم بن الحجاج في وقتها من حديث أبي موسى: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) في (ب): تظفر.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٠٤٨).

(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٥، رقم ٨٥٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٥٨٤، رقم ٨٥٢).

(٦) تقدم في سابقه.

يقول: «فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تَنْقَضِي الصَّلَاةُ»[١].

قال عبد الحق: ولم يسنده غير مخرمة بن بكير عن أبيه عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري، وقد رواه جماعة عن أبي بردة عن أبي موسى؛ أي: جعلوه من قول أبي موسى لا قول النبي، فهو موقوف لا مرفوع.

قال عبد الحق وغيره: ومخرمة لم يسمع من أبيه إنما كان يحدث من كتب أبيه.

وقال أبو داود عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «يَوْمُ الْجُمُعَةِ ثِنْتَا عَشْرَةَ سَاعَةً لَا يُوجَدُ عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ»[٢].

قال عبد الحق: في إسناده الجلاح مولى عبد العزيز بن مروان، وقد ذكره [أبو عمر][٣] بن عبد البر من حديث عبد السلام بن حفص- ويقال له: ابن مصعب ـ عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ السَّاعَةَ الَّتِي يُتَحَرَّى فِيهَا الدُّعَاءُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ هِيَ آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الْجُمُعَةِ»[٤].

قال: وعبد السلام ثقة مدني، وكذا قال فيه ابن معين، أو لعله حكاه عنه أبو عمر، انظر عبد الحق في «الأحكام الكبرى» وانظر ابن حجر في «الفتح» فإنه حكى [فيه] واحدًا وأربعين قولاً، وذكر دلائلها وردودها وأطال في ذلك، ونسب الأقوال كلها، وذكر الأحاديث الدالة عليها، وبيَّن ما هو صحيح منها وما هو ضعيف أو موقوف أو غيره.

ولما وقفت على تلك الأقوال كلها وحفظتها كلها وعلمت دلائلها تكلمت مع الشيخ ﷺ في الساعة المذكورة، فسمعت منه أسرارًا كتبت بعضها وهو ما سبق، نفع الله به آمين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠١٢).

(٢) أخرجه أبو داود (١/ ٢٧٥، رقم ١٠٤٨)، والنسائي (٣/ ٩٩، رقم ١٣٨٩)، والحاكم (١/ ٤١٤، رقم ١٠٣٢) وقال: صحيح على شرط مسلم. والبيهقي (٣/ ٢٥٠، رقم ٥٧٩٧).

(٣) في (ب): أبو عمرو.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/ ٤٣)، وفي الاستذكار (٢/ ٤٤)، وذكره ابن رجب في الفتح (٦/ ٢٣٤).

ولنرجع إلى ما سمعت منه في أمر الديوان فنقول:

سمعته ﷺ **يقول:** إن لغة أهل الديوان ﷺ هي السريانية؛ لاختصارها وجمعها المعاني الكثيرة، ولأن الديوان يحضره الأرواح والملائكة، والسريانية هي لغتهم، ولا يتكلمون العربية إلا إذا حضر النبي ﷺ أدبًا معه.

وسمعته ﷺ **يقول:** ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح المحفوظ، بل منهم من يقدر على النظر فيه، ومنهم من يتوجه إليه ببصيرته ولا يعرف ما فيه، ومنهم من لا يتوجه إليه؛ لعلمه بأنه ليس من أهل النظر إليه.

قال ﷺ: كالهلال، فإن رؤية الناس إليه مختلفة.

وسمعته ﷺ **يقول:** إذا اجتمع الأولياء في الديوان ﷺ أمد بعضهم بعضًا، فترى الأنوار تخرج وتدخل وتنفذ فيما بينهم كالنشاب، ولا يتفرقون إلا على زيادة عظيمة.

وسمعته ﷺ **يقول:** إن الصغير من الأولياء يحضره بذاته، وأمّا الكبير فلا تحجير عليه، يشير ﷺ إلى أن الصغير إذا حضره غاب عن محله وداره، فلا يوجد في بلدته أصلاً؛ لأنه يذهب إليه بذاته، وأمّا الكبير فإنه يدبر [على رأسه][1] فيحضره ولا يغيب عن داره؛ لأن الكبير يقدر على التطور على ما شاء من الصور، ولكمال روحه تدبر له إن شاء ثلاثمائة وستة وستون ذاتًا.

بل سمعت الشيخ ﷺ **مرة وأنا معه خارج باب الحبشة أحد أبواب فاس** ـ حرسها الله ـ **يقول:** إيش هو الديوان والأولياء الذين يقيمونه كلهم في صدري.

وسمعته مرة يقول: إنما يقام الديوان في صدري.

وسمعته ﷺ **يقول مرة أخرى:** السماوات والأرضون بالنسبة إليّ كالموزونة في فلاة من الأرض.

يصدر هذا الكلام منه ﷺ وما أشبهه إذا شهدنا منه زيادة، بل هو في زيادة دائمًا ﷺ.

وقد كنت معه ذات يوم خارج باب الفتوح فجعل يذكر لي أكابر الصالحين مع كونه أُميًّا.

---

(١) في (ب): لنفسه.

فقلت له: فمن أين تعرفهم؟

فقال ﷺ: أهل الفتح الكبير مسكن أرواحهم قبة البرزخ، فمن رأيناه فيها علمنا أنه من الأكابر. ثم جرى بيننا ذكر الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي – قدس سره.

فقال: هو من الأكابر.

فجعلت أذكر مناقبه والغرائب التي نقلت من كراماته.

فقال ﷺ: لو عاش سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ من زمنه إلى زماننا ما أدرك من المقامات ولا ترقى مثل ما ترقى أخوك عبد العزيز - يعني: نفسه - من أمس إلى اليوم، والله ما قاله أخوك افتخارًا، وإنما قاله تعريفًا وتحدثًا معكم بالنعمة.

وكنت داخلاً معه ذات يوم من باب الحبشة فنظر إليّ وقال: عليّ في هذه الساعة ثلاث كسوات لو أخذت واحدة منها ووضعت على مدينة فاس لذاب جميع من فيها، ورجع سورها وبنيانها ودورها وجميع من فيها عدمًا محضًا.

وكنت داخلاً معه ذات يوم من باب الفتوح فسألته عن أسمائه تعالى وعددها، وأن من العلماء من قال: إنها أربعة آلاف.

فقال ﷺ: إني في لحظة قدر تغميضة العين وفتحها أشاهد من أسمائه تعالى ما ينوف على مائة ألف، والترقي هكذا على الدوام في كل لحظة.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده، فإن هذا بحر لا قرار له، ونحن على ساحل التمني نغترف من بحور الشيخ ﷺ على قدر الإمكان، فنقول:

سمعته ﷺ **يقول**: قد يغيب الغوث عن الديوان فلا يحضره، فيحصل بين أولياء الله تعالى من أهل الديوان ما يوجب اختلافهم، فيقع منهم التصرف الموجب لأن يقتل بعضهم بعضًا، فإن كان غالبهم اختار أمرًا وخالف الأقل في ذلك، فإن الأقل يحصل فيهم التصرف السابق فيموتون جميعًا.

وقد اختلفوا ذات يوم في أمر، فقالت طائفة منهم قليلة: إن لم يكن ذلك الأمر فلنمت، فقالت الطائفة الكثيرة: فموتوا إن شئتم، فماتت الطائفة القليلة.

قال ﷺ: فإن تكافأ الفريقان حصل التصرف فيهما معًا.

فقلت: فإنهم أهل بصيرة وكشف، فلمَ يحصل بينهم النزاع وهم يشاهدون مراد الله تعالى ببصيرتهم؟

فقال ﷺ: إذا كان الأقل هو المخالف فإن الله يحجبهم عن المراد حتى ينفذ ما قضاه فيهم، وإذا تكافأ الفريقان فإن مراد الحق ﷻ يخفى على الجميع؛ لأن قلوب الأولياء الأصفياء مظاهر الأقدار، وقد اختلفت وتكافأت.

فقلت: فما سبب غيبة الغوث ﷺ عن الديوان؟

فقال ﷺ: سببه أحد أمرين:

ـ إمّا غيبته في مشاهدة الحق ﷻ اليوم على أخيه حتى تفنى العوالم في نظره، فلهذا لا يحضر في الديوان.

ـ وإمّا كونه في بداية توليته، كما إذا كان ذلك بقرب موت الغوث الذي قبله فإنه قد لا يحضر في بداية الأمر حتى تتأنس ذاته شيئًا فشيئًا.

قال ﷺ: وقد يحضر سيد الوجود ﷺ في غيبة الغوث، فيحصل لأهل الديوان من الخوف والجزع من حيث إنهم يجهلون العاقبة في حضوره ﷺ ما يخرجهم عن حواسهم، حتى إنه لو طال ذلك أيامًا كثيرة لانهدمت العوالم.

قال ﷺ: وإذا حضر سيد الوجود ﷺ مع غيبة الغوث فإنه يحضر معه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، والحسن، والحسين، وأمهما فاطمة الزهراء، تارة كلهم وتارة بعضهم ﷺ أجمعين.

قال: وتجلس مولاتنا فاطمة مع جماعة النسوة اللاتي يحضرن الديوان في جهة اليسار كما سبق، وتكون مولاتنا فاطمة أمامهن، رضي الله عنها وعنهن.

قال ﷺ: وسمعتها ـ رضي الله عنها ـ تُصلي على أبيها ﷺ ليلة من الليالي وهي تقول: اللهم صلّ على من روحه محراب الأرواح والملائكة والكون، اللهم صلّ على من هو إمام الأنبياء والمرسلين، اللهم صلّ على من هو إمام أهل الجنة عباد الله المؤمنين.

وكانت تصلي عليه ﷺ لكن لا بهذا اللفظ، وإنما أنا استخرجت معناه، والله أعلم.

فقلت: فإذا حضر الغوث فهل يقدر أحد على مخالفته؟

فقال ﷺ: لا يقدر أحد أن يحرك شفته السفلى بالمخالفة فضلاً عن النطق بها، فإنه لو فعل ذلك لخاف على نفسه من سلب الإيمان فضلاً عن شيء آخر، والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول**: إن أهل الديوان إذا اجتمعوا فيه اتفقوا على ما يكون من ذلك الوقت إلى مثله من الغد، فهم ﷺ يتكلمون في قضاء الله تعالى في اليوم المستقبل والليلة التي تليه.

قال ﷺ: ولهم التصرف في العوالم كلها السفلية والعلوية، وحتى الحجب السبعين، وحتى في عالم الرقّا ـ بتشديد الراء والقاف ـ وهو ما فوق الحجب السبعين، فهم الذين يتصرفون فيه وفي أهله وفي خواطرهم وما تهجس به ضمائرهم، فلا يهجس في خاطر واحد منهم شيء إلا بإذن أهل التصرف ﷺ أجمعين.

وإذا كان هذا في عالم الرقّا الذي هو فوق الحجب السبعين التي هي فوق العرش، فما ظنك بغيره من العوالم؟

* **قلت**: ولقد قبض أصحاب [المخزن][1] ولدًا لبعض أصحابي، وكان المخزن يطلبه وهو متخوف منه، فلما قبضوه أيقن أبوه بالهلاك، فجاءني فذهبت للشيخ ﷺ فرغبته وكلمته فيه.

فقال ﷺ: إن كنت تظن أن القط يأكل الفأر بغير إذن [فلان][2] ـ يعني: نفسه ـ فما ظنك بشيء؟ فلا تخف على الولد، وقل لأبيه يطيب خاطره، فكان الأمر كذلك، فإنه لما بلغ [إلى المخزن][3] أطلقه بلا سبب.

وكان ﷺ **يقول**: إذا أردت قضاء حاجة لك أو لغيرك فاذكرها لي ولا تزد ـ أي: ولا تحرص في قضائها وتهتم بها ـ فإن ذلك هو سبب عدم قضائها، فكان الأمر كذلك، فكنا إذا

---

(١) في (ب): الدولة.

(٢) في (ب): عبد العزيز.

(٣) في (ب): الديوان.

عرضت حاجة وذكرناها له وسكتنا جاء فيها الفرج سريعًا، وإذا وقع لنا بها اهتمام وعناية انغلق بابها، والله تعالى أعلم.

ـ وسألته ﷺ: هل يكون الديوان في موضع آخر غير غار حراء؟

فقال ﷺ: نعم يكون في موضع آخر مرة في العام لا غير، وهذا الموضع يقال له: «زاوية أَسا بفتح الهمزة والسين بعدها ألف خارج أرض «سوس» بينها وبين أرض غرب السودان، فيحضره أولياء السودان، ومنهم من لا يحضر الديوان إلا في تلك الليلة، ويأذن الله تعالى ويسوق أهل آفاق تلك الأراضي، ويجتمعون بالموضع المذكور قبل تلك الليلة بيوم أو بيومين وبعدها كذلك، ويجتمع في ذلك السوق من التبر ما لا يحصى.

فقلت: وهل ثم جمع آخر في غير هذين الموضعين؟

فقال: نعم، يجتمعون ولكن لا يجتمع نحو العشرة منهم في موضع قط إلا في الموضعين السابقين؛ لأن الأرض لا تطيقهم؛ لأنه تعالى أراد تفرقهم في الأرض وفي الخلق، والله تعالى أعلم.

ـ وسألته ﷺ عن المجاذيب، هل لهم دخل في الديوان؟ أو هل يتصرفون مثلما يتصرف غير المجاذيب؟

فقال ﷺ: لا دخل لهم في الديوان، ولا بأيديهم التصرف، وإذا بلغ إليهم التصرف هلك الناس.

فقلت: ومتى يبلغ إليهم؟

فقال ﷺ: وقت خروج الدجال ـ لعنه الله ـ فيقع التصرف بأيديهم، ويكون كبير الديوان منهم وليس معه عقل تمييز، فيقع الخلل في التصرف، ويكون ذلك سببًا في خروج الدجال.

* قلت: وقد سمعت من الشيخ ﷺ حكاية تضمنت كلامًا على المجاذيب وعلى كثير من أحكامهم، وفيها فوائد أُخر، فلنكتبها برمتها:

وسمعته ﷺ يقول: كان سيدي حمادي المجذوب ﷺ وهو من أهل المغرب، يطلب بسوق مصر ويسعى فيما يأكل، وكان الوقت وقت غلاء، فبينما هو قاصد لحانوت رجل

ليطلبه ويسأله شيئًا مما يتقوت به، إذا حانت منه نظرة باطنية، فرأى ذهبًا كثيرًا في زير وهو مدفون بإزاء حانوت الرجل المقصود.

قال: وكان الرجل المقصود من العارفين، فنظر إلى سيدي حمادي قاصدًا له فأراد أن يختبره.

فلما سأله سيدي حمادي قال له الرجل: الله يفتح عليكم.

فأعاد سيدي حمادي السؤال فأعاد الرجل كلامه.

ثم قال: إن كان هذا سيدي حمادي فإني أختبره.

فقال لسيدي حمادي: أنت [تطلب][1] والذي تحت رجلك يكفيك؟ يشير الرجل إلى الذهب المدفون؛ لأن سيدي حمادي وقف على موضعه لما بلغ قرب الباب.

فقال سيدي حمادي: الذي تحت رجلي ذهب، وأنا إنما أطلب نصف فضة أتقوت به، فعلم الرجل بحاله، وأعطاه عشرة أنصاف فضة وانصرف.

فقلت: وما سبب معرفة الرجل به قبل أن يراه حتى أراد أن يختبره؟

فقال ﷺ: علمه به أولاً قبل أن يراه بمثابة رجل نائم منامًا قريبًا من اليقظة، ورأى في منامه رجلاً على صفة كذا، ثم استيقظ وإذا هو بالرجل واقف بين يديه، فإنه ينظر هل هو الذي رأى في منامه أم لا؟ حتى يرتفع الشك، ويعلم أن ما رآه في اليقظة هو ما رآه في المنام الذي هو شبه اليقظة.

فقلت: وما باله قال له أولاً: الله يفتح عليكم، فلما علم بولايته أعطاه ما سأل وزاده، فإن العطية إن كانت لله ﷻ فلا ينظر فيها إلى الآخذ وليًّا كان أم لا، فإن ربها تعالى واحد، وإن كانت العطية لغير الله فإنها لا تناسب حالة العارفين ﷺ فحيث منعه أولاً كان من حقه أن يمنعه ثانيًا إن كان المنع لله، كما أنه حيث أعطاه ثانيًا كان من حقه أن يعطيه أولاً إن كانت العطية لله ﷻ.

فقال ﷺ: إن المؤمن له حق واحد وهو حق الإيمان، والولي له حقان: حق الإيمان

---

(١) في (ب): تشحذ.

وحق المعرفة بالله ﷻ وهو حيث قال له أولاً: الله يفتح عليكم، قاله على أنه ـ أي: السائل ـ من جملة المؤمنين، فمنعه؛ لأن حق الإيمان لم يتسوجب نصيبًا من ماله في تلك الساعة، فلما جربه وعلم أنه من العارفين تأكد أمره وتزايد حقه، فاستوجب نصيبًا من ماله بسبب المعرفة التي اشتركا فيها.

فإن وصف المعرفة بالله تعالى كعقد الأخوة بين المتآخين في الله ﷻ فالمنع أولاً لله ﷻ والعطية ثانيًا لله ﷻ فهو كمثل رجل سأله سائل من وراء باب فقال له: الله يفتح عليكم، ثم فتح الباب وإذا السائل أخ للمسئول، فمن الواجب عليه ألّا ينزله منزلة الأجنبي حتى يمنعه بعد أن علم بأخوته كما منعه قبل أن يعلم بها، فإن هذا ينافي الأخوة وما تقتضيه من صلة الرحم.

فقلت: وما هو النصيب الذي تقتضيه المعرفة في مال المسئول؟

فقال ﷺ: هو ما يوجبه عقد الأخوة في الله تعالى، فإن لم يكن لك سوى أخ في الله فله نصف مالك، وإن كان لك تسعة فلكل واحد عشر مالك.

فقلت: فما باله أعطاه عشرة أنصاف ولم يعطه نصف ماله؟

فقال ﷺ: لم ينحصر السائل العارف في ذلك السائل، فلعل عارفًا آخر يقصده بعد ذهاب الأول، ثم ثالثًا ورابعًا... وهلم جرا.

والمرء سفينة نفسه في تفرقة النصيب الواجب عليه لإخوانه في الله ﷻ.

فقلت: وأيّ شيء كان سيدي حمادي؟

فقال ﷺ: كان من المجاذيب، والرجل المقصود اسمه سيدي إبراهيم كان من السالكين، وكلاهما من العارفين، رضي الله عنهما.

فقلت: وما الفرق بين المجذوب والسالك مع اشتراكهما في المعرفة بالله ﷻ؟

فقال ﷺ:

المجذوب: هو الذي يتأثر ظاهره بما يرى، ويسره ما يشاهده، فيجعل يحاكيه بظاهره ويتبعه بحركاته وسكناته، والشخص إذا رحمه الله تعالى وفتح بصيرته لا يزال يشاهد من

عجائب الملأ الأعلى ما لا يكيف ولا يطاق، فإن كان مجذوبًا فإنه يتبع بظاهره ما يراه ببصيرته، وما يراه ببصيرته لا ينحصر، فلذا لا ينضبط له حال، فإذا رأيت من المجاذيب من يتمايل طربًا فإنه غائب في مشاهدة الحور العين، فإن ذلك هو هيئة حركاتهن، فظاهره مشتغل بمحاكاة ما يشاهد من أمرهن.

وأمّا السالك: فهو الذي لا يتأثر ظاهره بما يرى، ولا يحاكي شيئًا من الحركات التي يشاهدها، بل هو بحر زاخر ساكن لا يظهر عليه شيء، وهو أكمل من المجذوب، وأجره يزيد على أجر المجذوب بالثلث، وذلك أن السالك على قدم النبي ﷺ فإنه ﷺ لم يكن ظاهره يتأثر بشيء، ولذا ترى السالكين بعقولهم والمجاذيب لا عقول لهم في الغالب؛ لأن ظاهرهم إذا اشتغل بمحاكاة ظاهر غيرهم ضاع ظاهرهم الذي كان لهم في أصل الخلقة قبل الفتح، فضاعت عقولهم تبعًا لذلك.

قال ﷺ: وكان بعض السالكين من العارفين ﷺ يحضر الديوان، وكان من الأكابر، وكان له ولد من صلبه، فكان يعلم أنه وارثه، ولكن لا يدري هل يخرج مجذوبًا أو سالكًا؟ فحمله مرة على عنقه ومشى به حتى دخل به على أهل الديوان في محل الديوان.

فقالوا: ما هذا يا فلان، وأنت تعلم أنه لا يحل لمن لا يكون من أهل الخطوة أن يمشي به بالخطوة؟

فقال لهم: نسألكم العفو والصفح والمجاوزة.

ثم تقدم إلى الغوث ﷺ **فقال له**: يا سيدي، قدمت إليك هذا المجمع الشريف وحرمته حرمة النبي ﷺ ومجلسه ذلك إلا ما أعلمتني بشأن ولدي، هل يصير مجذوبًا أو سالكًا؟

فقال له الغوث: هذا أمر لا يعلم؛ فإن نور الإيمان الذي في السالك هو بعينه الذي في المجذوب، والمعرفة التي في هذا هي التي في هذا، والتفاوت الذي بينهما في الحسنات والدرجات غيب عنا، ولا يعلم إلا في الآخرة، فبأيّ حيلة يعلم أن ولدك هذا مجذوب أو سالك؟ هذا ما لا يكون.

فقال للغوث ﷺ: يا سيدي، ما جعلك الله غوثًا إلا وأنت تعلم هذا وأكثر.

ثم سأله بجاه النبي ﷺ إلا ما بيَّنَ له الحالة التي سيصير إليها الصبي من سلوك أو جذب.

فقال الغوث ﷺ: ائتوني بعود، فأتوه به.

فقال: هل من سكين؟ فأتوه بها.

فقال للصبي: تقدم، فجعل يتقدم حتى أجلسه بين يديه، ثم جعل [الغوث] ينجر العود بالسكين والصبي ينظر، فجعل الغوث ﷺ ينجر ويحزز في العود وهو يعض مرة على لسانه ومرة على شفتيه، ويرمق الصبي في أثناء ذلك، وإذا الصبي يعض على لسانه إذا عض الغوث ﷺ على لسانه، ويعض على شفتيه إذا عض الغوث ﷺ على شفتيه.

فقال له: خذ ولدك، فإنه [سيخرج][1] مجذوبًا.

فقال: يا سيدي، بم عرفت ذلك؟

فقال: إنه يتأثر ظاهره بما يرى ويشاهد.

قال ﷺ: **والسالكون يتجنبون المجاذيب في أمور**:

منها: إن السالك لا يأكل مع المجذوب؛ لأن المجذوب لا يبالي بما يخرج على لسانه من سب أو غيره، فيجب على السالك أن يتقي ذلك منه.

ومنها: إنه لا يسافر معه لهذه العلة.

ومنها: إنه لا يلبس له ثوبه؛ لأنه لا يتوقى النجاسة.

ومنها: إنه لا يحل للسالك أن يتزوج مجذوبة وكذا العكس.

وأمّا الشيخ فإنه قد يتخرج المجذوب على السالك كما في حكاية الصبي، فإنه مجذوب وأبوه سالك، وقد يتخرج السالك على المجذوب، كما وقع لسيدي يوسف الفاسي فإنه سالك وشيخه سيدي عبد الرحمن المجذوب مجذوب.

فقلت: وكيف يكون هذا والمجذوب مشغول عن نفسه، فكيف بغيره حتى يشتغل برعيته؟

---

(١) في (ب): سيصير.

فقال ﷺ: إن [الجذب][1] يختلف بالقوة والضعف، فمنهم من يقل جذبه، ومنهم من يكثر بحيث لا يفيق، والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول**: إن الأولياء يفعلون أمورًا عظيمة، سخرهم الحق ﷻ فيها حتى يتعجب المتعجب من تلك الأفعال، وإذا نظرت بعين الحقيقة وجدت الفاعل لها هو الحق ﷻ وهم محمولون كغيرهم من المخلوقات من غير فرق.

فقلت: فالأولياء ﷺ يشاهدون أفعال الحق ﷻ وإذا كانوا مشاهدين لأفعاله تعالى فكيف يشاهدون الفعل من أنفسهم؟ أم كيف ينسبون ذلك لذواتهم؟

فقال ﷺ: إن الأولياء وغيرهم ممن أكرمه الله تعالى إنما يشاهدون أفعاله تعالى في غيرهم، ولا يطيق أحد من مخلوقات الله تعالى أن يشاهد أفعاله تعالى في ذات نفسه، ولو شاهد الأفعال الربانية في ذاته لذابت ذاته وسالت، وإنما يطيق المخلوق أن يشاهد أفعال الحق ﷻ بالوسائط وفي غير ذاته، إمّا مباشرة في ذاته فلا يطيق، ولا يطيق المخلوق أن يشاهد الفاعل في ذاته، ولذا خلق تعالى الوسائط وجعل الملائكة ظروفًا تظهر فيها أفعاله؛ لئلا تذوب المخلوقات، وإنما أطاقت الملائكة؛ لأن ذواتها أنوار صافية وليست بأجرام ترابية.

واعلم أن للملائكة خصوصية في توسطهم في الفعل ليست لغيرهم، حتى إنك إذا نظرت بعد الفتح وجدتهم لا يخلو منهم مكان من أمكنة المخلوقات، فتراهم في الحجب و[تحتها][2]، وفي العرش وتحته، وفي الجنة وفي النار، وفي السماء وفي الأرض، وفي الكهوف والجبال والأودية وسائر البحار.

قال ﷺ: ولأجل هذا النفع الحاصل بهم في التوسط بين الخلق والحق ﷻ وجب الإيمان بهم دون غيرهم من الموجودات العظام كالحجب ونحوها، والله أعلم.

وكنت أتكلم معه ﷺ ذات يوم فذكرت له سيدنا سليمان ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ وما سخر الله له من الجن والإنس والشياطين والريح، وذكرت ما أعطى الله تعالى لأبيه سيدنا داود عليه السلام من صناعة الحديد وإلانته حتى يكون في يده مثل قطع

---

(١) في (ب): المجذوب.

(٢) في (ب): غيرها.

العجين، وما أعطى الله لسيدنا عيسى عليه السلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله ﷻ ونحو ذلك من معجزات الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وفهم مني كأني أقول له: وسيد الوجود ﷺ فوق الجميع، ولمَ لمْ يظهر على يده مثل ذلك وأنه وإن ظهر على يده شيء من المعجزات فمن فن آخر؟

فقال ﷺ: كل ما أعطيه سليمان في ملكه عليه السلام وما سخر [لأبيه] داود، وأكرم به عيسى عليه السلام أعطاه الله تعالى وزيادة لأهل التصرف من أمة النبي ﷺ فإن الله سخر لهم الجن والإنس والشياطين والريح والملائكة، بل وجميع ما في العوالم بأسرها، ومكنهم من القدرة على إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، ولكنه أمر غيبي مستور لا يظهر إلى الخلق؛ لئلا ينقطعوا إليهم فينسون ربهم ﷻ وإنما حصل ذلك لأهل التصرف ببركة النبي ﷺ فكل ذلك من معجزاته ﷺ ثم ذكر أسرار لا تطيقها العقول، والله تعالى أعلم.

ـ **وسألته** ﷺ ذات يوم فقلت: إن أهل التصرف ﷺ لهم القدرة على إهلاك الكفرة أينما كانوا، فما بالهم تركوهم مع كفرهم وعبادتهم غير الله ﷻ ومن كان بهذه الصفة فهلاكه واجب.

فقال ﷺ **وقد حوَّل وجهه إلى خلف ثم ردَّه**: يقدر الولي في هذه اللحظة على إهلاك [هذا البر كله][1]، ومع ذلك فإذا حضر بين معركة من المسلمين والكفار يحرم عليه أن يتصرف في الكفرة بشيء من ذلك السر، وإنما يقاتلهم بما جرت به عادة القتال من ضرب بسيف وطعن برمح ونحو ذلك اقتداء بالنبي ﷺ.

قال ﷺ: ولقد التقت [سفينة] للمسلمين وكان فيها وليَّان من أولياء الله ﷻ مع [سفينة][2] للكفار، فلما [حمى][3] بينهما القتال قام أحد الوليين وكان صغيرًا، فتصرف في السفينة بذلك السر، فانطلقت النار في سفينة الكفرة وهم يرون ولم يصدر منه سبب عادي [وهم ينظرون ولم يتستر بشيء في][4] تصرفه، وإنما احترقت السفينة بلا سبب، فلما فعل ذلك الولي ما فعل سلبه الولي الآخر الذي كان معه وكان أكبر منه عقوبة على ما فعل.

---

(١) في (ب): جميع أجناس النصارى.
(٢) في (ب): مركب.
(٣) في (ب): ظهر.
(٤) سقطت من (أ).

قال ﷺ: وإنما لم يجز التصرف في الكفرة ـ دمرهم الله ـ بذلك السر؛ لأن صاحبه في تلك الحالة خارج في الحقيقة عن عالم البشر والتحق بعالم آخر، وكما لا يجوز لعالم الملائكة مثلاً أن يتصرفوا فيهم بما [لا][1] تطيقه قوتهم، كذلك لا يجوز لصاحب السر أن يتصرف فيهم بقوته، بل تجري لهم على يديه الأمور التي بها بقاؤهم ودوام عيشتهم، كما أن عليهم حفظة من الملائكة يدبرون أمورهم منذ نشأوا إلى أن ينقرضوا.

وبالجملة: فالكفرة ـ دمرهم الله ـ من عالم البشر، فلا يستعمل معهم في قتالهم وهلاكهم إلا ما هو عادة في عالم البشر لا غير، والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول**: نظرت بعض بنات النصارى ـ لعنهم الله ـ ذات يوم للقمر فقالت لأبيها وهي صغيرة: يا أبت، من خلق هذا؟ فأشار أبوها إلى صليب في الأرض فقال: هذا.

فأخذته البنت إلى قدر قامتها وتركته في الهواء فسقط إلى الأرض، فقالت: يا أبت، إذا لم يمسك نفسه في هذا القدر القريب فمن أمسكه حتى خلق القمر في علوه وارتفاعه؟ فسبها أبوها.

فقلت: وهل البنت مسلمة؟

فقال: لا.

فقلت: وهل أسلمت بعد ذلك؟

فقال: لا.

فقلت: فأنى لها بهذا الاعتراض الحق والنور الواضح الساطع؟

فقال: كان بعض أهل الحق حاضرًا فنظر إليها فتكلمت، والله أعلم.

* **قلت**: والمراد بالبعض الحاضر هو الشيخ ﷺ والنظرة التي نظر إليها نظرة باطنية، لكنه محجوب عن أبصارهم ﷺ والله أعلم.

ـ **وسألته** ﷺ عن الولي إذا تصور في صورة غير صورته، وقتل في تلك الصورة، من

---

(١) سقطت من (أ).

المتألم حينئذ روحه أم الجسم الأصلي أم المتصور فيه؟

فقال ﷺ: الذي يجب في العقيدة هو تماثل [الألمين في الدارين][1]، والناس لا معرفة لهم بهذا؛ لظنهم أن المقصود بالألم هو الذات وليس كذلك، إنما المقصود هو الروح، ثم ذكر سرًا من أسرار الله تعالى بيّن به ذلك.

ووجه الشاهد من هذا الباب: وذلك أن الولي إذا سخره الله لموضع لا تطيقه ذاته الترابية لعائق من حر شديد أو برد شديد أو نحو ذلك، فإن روحه تخرج من ذاته وتدخل من بعض الأجرام المطيقة لذلك العائق، وتفعل ذلك الأمر.

قال: وإذا تألم في الذات المنتقل إليه أحس بالألم مثل إحساسه به إذا كانت روحه في ذاته من غير فرق.

فقلت: وما هذه الأجرام التي يقع فيها الدخول والانتقال؟

فقال: مثل الجمل والثور ونحوهما مما يطيق ذلك العائق.

فقلت: فأرواحهم في ذواتهم، فكيف تدخلها روح الولي مع ذلك؟

فقال: أرواحهم وإن كانت في ذواتهم إلا أنها ليست كأرواح بني آدم، فإن أرواح البهائم كعقولهم، وعقولهم كأرواحهم، فلذا أرواحهم لا تحكم على ذواتهم كحكم أرواح بني آدم على ذواتهم، فلذا كان الولي يتصور في ذات البهائم إذا أراد أن ينفذ قدرًا يتوقف على ذلك ولا يتصور في ذات بني آدم التي فيها أرواحهم.

فقلت: فإنا نرى في بعض الأحيان ثورًا مثلاً لا تشويش عليه، ثم يعتريه أمر فينزعج ويتحرك نحو شخص حتى يقتله، فيمكن أن يكون الولي [تصور][2] في ذاته حتى نفذ ذلك القدر.

فقال: يمكن ذلك إذا كان ذلك الشخص المقتول كافرًا؛ لأن جند النور وجند الظلام [دائمًا] في قتال شديد.

---

(١) في (ب): الألسن في الدين.

(٢) في (ب): تطور.

فقلت: فهذه البهائم مثل القط والكلب التي يتصور عليها الشياطين يمكن أن تكون من هذا المعنى؟

فقال ﷺ: نعم، الشياطين من الظلام والباطل، والأولياء ﷺ من الحق، والنور والظلام جندان، فالبهائم المذكورة تارة يتصور عليها هذا الجند، وتارة يتصور عليها الجند الآخر لتنفيذ قدر.

فقلت: فأيّ قدر يتوقف على تصور الولي على صورة الحنش؟

فقال: إذا أمره الله أن يقتل زيدًا بالسم، فإن روحه تدخل في الصورة المذكورة حتى ينفذ القدر.

فقلت: فلا سم في روح الولي.

فقال ﷺ: وأيّ شيء هو السم؟ همة الولي وعزيمته تنفعل لها الأشياء، فإذا همّ بشيء كان.

ـ **فسألته** عن روح الولي إذا خرجت من ذاته فعلى أيّ حالة تبقى ذاته؟

فقال ﷺ: تبقى بلا روح، فإن كان من صغار الأولياء بقيت ذاته على صورة المبهوت [المخلوع][1] لا يتكلم بشيء، وإذا تكلم لا يفهم ما يقول ولا يعرفه، وإن كان من الكبار بقيت ذاته على حالة ما إذا كانت فيها روحها تتكلم وتضحك كأنها على حالتها الأولى.

فقلت: فإذا بقيت بلا روح ماتت، فكيف ساغ من الأول أن يبقى على هيئة المخلوع، ومن الثاني أن يبقى على حالته وقد خرجت روحهما؟

فقال ﷺ: إذا خرجت الروح بقيت آثارها في الذات من حرارة ونحوها، فما دامت الآثار فيها بقيت الذات حية ولا تنتفي الآثار عنها إلا بعد أربع وعشرين ساعة.

قال: فمن رجعت روحه لذاته قبل ذلك بقي على حياته، ومن مرت على روحه المدة المذكورة وهي مفارقة لذاته لم يمكنها الرجوع لذاته أبدًا، وصار في عداد الأموات، وكم من ولي تقبض روحه على هذه الحالة، ولله عناية عظيمة بمن قبضت روحه على هذه الحالة.

---

(١) في (ب): المخضوض.

ـ فسألته عما سمعت من بعض الأولياء تغيب روحه عن ذاته ثلاثة أيام ثم ترجع، فإن هذا يخالف ما سبق.

فقال ﷺ: هذا الذي سمعتموه حق، وتبقى [غائبة][1] سبعة عشر يومًا وأكثر، ولكن لابد لها من تشوف نحو ذاتها، وبتشوفها تحصل حياة الذات.

ثم ضرب ﷺ مثلاً فقال: كمن جاء إلى موضع مخوف فوجد واديًا، فأزال ثيابه وجعل يسبح في الماء، فإنه في الماء وهو يخاف على ثيابه، فتراه يسبح [في الماء] مرة ويرفع رأسه مرة أخرى نحو ثيابه خوف السرقة عليها، فكذلك الروح إذا خرجت من الذات فإنها تنتبه إليها كانتباه السابح إلى ثيابه، لكن انتباه السابح بالرؤية فقط والروح لخفتها انتباهها بالدخول، فبانتباهها للذات يقع لها الدخول فيها ثم تخرج لقضاء الأمر الذي كلفت به، ثم تنتبه للذات فتدخل فيها، وهكذا إلى أن تقضي ذلك الأمر في ثلاثة أيام أو أكثر، فلا منافاة بينه وبين ما سبق، والله أعلم.

وسمعته ﷺ يقول: إن الولي صاحب التصرف يمد يديه إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من الدراهم، وذو الجيب لا يشعر.

* قلت: لأن اليد الذي يأخذ بها الولي باطنية لا ظاهرية.

ثم حكى لنا حكاية وقعت لبعض الأولياء ـ نفعنا الله بهم ـ مع جار له، وذلك أن ذلك الجار كانت له امرأة قد أودع عندها رجل خمسة مثاقيل، ثم ذهب في [المعسكر][2] إلى ناحية فجيج وقال: إن عشت أخذتها وإن مت [فأعطيها][3] لأولادي، فغاب [المودع][4].

ثم حضرت المنية المرأة فأوصت زوجها جار الولي وقالت: إن جاء ربها فأعطها له، فأنعم لها بذلك، فلما دفنها غدر في الأمانة وأكلها، ثم جاء ربها فأنكره، ثم جعل يجمع ويكتسب حتى جمع خمسة مثاقيل مثل العدة السابقة، ففرح بها وخرج من داره وترك الولي

---

(١) في (ب): ميتة.
(٢) في (أ): الحركة.
(٣) في (ب): فادفعيها.
(٤) في (ب): الرجل.

عند باب داره، وكانا يسكنان برأس الجنان من محروسة فاس ـ أمنها الله تعالى ـ حتى جاء إلى الشماعين فاشترى شمعة بقصد أن يأتي بها إلى ضريح سيدي عبد القادر الفاسي، نفعنا الله به.

فلما كان عند الفرن الذي بسبع لويات مدّ الولي يده من رأس الجنان إلى جيب الرجل وهو عند الفرن المذكور، فأخذ منه الخمسة مثاقيل عقوبة على غدره بالأمانة، والرجل لا شعور له بشيء حتى بلغ إلى الضريح المذكور، فأنزل عليه الشمعة وطلع لرأس الجنان، فلما وقع بصره على الولي ألهمه الله أن يراجع ما في جيبه، فأدخل يده فلم يجد شيئًا، فغضب وجعل يتكلم مع الولي وهو لا يظن فيه ولاية ويقول: والله، ما بقي ولي لله لا حي ولا ميت.

والولي يضحك حتى كاد يسقط إلى الأرض من كثرة الضحك، ثم استفهمه الولي وقال له: يا عم عبد الرحمن، أيّ شيء أصابك؟

فقال له: لقد خرجت وفي جيبي خمسة مثاقيل وقلت: أشتري شمعة لسيدي عبد القادر الفاسي فرحًا بالدراهم، فكان من بركته عليّ أن أخذها السفّارون، فازداد ضحك الولي، والله أعلم.

* **قلت:** والولي المذكور الذي أخذ الدراهم من الجيب هو الشيخ ﷺ وقد وقع له يومًا بحضرة جماعة من أصحابنا ما يقرب من هذه الحكاية مع الفقيه سيدي محمد بن علي الـمَجَّاوي ـ رحمه الله تعالى ـ بفتح الميم وتشديد الجيم نسبة إلى «مجاوة» القبيلة المعروفة بناحية تازى[1]، وذلك أنه قدم من وطنه بقصد زيارة الشيخ ﷺ فخرج الشيخ إليه وإلى جماعة من الأصحاب وجلس معهم عند باب داره مستندًا إلى جدارها، وسيدي محمد بن علي مستندًا إلى جدار الدار التي تقابلها، وبينهما الطريق السابلة.

فقال الشيخ ﷺ للفقيه المذكور وكان يحبه كثيرًا: هل عندكم دراهم؟

فقال: يا سيدي، ما عندي شيء. فعاد الشيخ لقوله والفقيه لقوله ثلاث مرات.

---

(١) لكلمة «تازي» في الفارسية معنى «صحراوي»، من «تاز» بمعنى الأرض المقفرة الخالية، ولذلك نسب بعض الباحثين كلمة «تازي» إلى هذا المعنى، فقالوا إنها أطلقت على العرب لما اشتهر عنهم أنهم صحراويون.

فقال له الشيخ: انظر. وكان في جيب الفقيه ثمان عشرة موزونة مصرورة في خرقة، فلم يمكنه إلا الإقرار فقال: يا سيدي، ثمان عشرة موزونة.

فقال الشيخ: هاتها. فأدخل يده في جيبه ففتش عليها فلم يجد شيئًا، فبقي مبهوتًا، فضحك الشيخ ﷺ وأخرجها له من تحته في خرقتها.

وقال له: مسكين يا سيدي محمد بن علي، من يقدر على هذا، كيف يسعك أن تدس عليه وتخبئ منه؟

* **قلت**: وقد ظهرت لنا كرامة أخرى في هذا الفقيه من الشيخ ﷺ:

وذلك أن الفقيه المذكور كان شحيحًا على الدنيا محبًّا لها كثيرًا، وكان عنده منها ما شاء الله، وكان لا يولد له، فلما التقى مع الشيخ ﷺ وألقى الله في قلبه محبته لم يزل ﷺ يأمره بإخراج دنياه لله ﷻ وجعلت نفس الفقيه تسمح بذلك وتجود وكان يتعجب منها، فإنه لم يكن يعهد منها ذلك.

ثم شدد الشيخ ﷺ عليه في إخراج ماله في وجوه الخير حتى كنا نرحمه ويقول القاصد منا: إن الشيخ ﷺ ثقل عليه كثيرًا، والفقيه المذكور يفرح بذلك غاية الفرح، ونحن لا نعرف العاقبة والشيخ ﷺ كان يعرفها؛ وذلك لأن الفقيه [المذكور] كان قد قرب أجله ودنت وفاته، فكان الشيخ ﷺ يبني له القصور في الجنة، ويقدم له ماله بين يديه ونحن لا ندري، فلما كاد مال الفقيه المذكور يفنى، ولم يبق إلا مقدار ما ترثه زوجته وتأخذه في صداقها، توفي الفقيه المذكور، رحمه الله.

وهكذا فعل الشيخ ﷺ مع صاحبه [الفقيه] الجليل سيدي علي بن عبد الله الصباغي المتقدم في أول الكتاب، فإنه ﷺ منذ عرفه ألح عليه في إخراج دنياه لله ﷻ فلما فنيت دنياه توفي على أثرها وانقلب إلى ما عند الله ﷻ.

فانظر ـ وفقك الله ـ النفع الحاصل من معرفة أمثال الشيخ ﷺ والله أعلم.

وسمعته ﷺ **يقول**: الفرق بين أخذ الولي صاحب التصرف متاع الناس وبين أخذ السارق واللص له الحجاب وعدمه، فالولي مشاهد لربه ﷻ مأمور من قبله بالأخذ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٨٢].

قال ﷺ: ولقد دخل سيدي منصور القطب ﷺ إلى مولانا إدريس ـ نفعنا الله به ـ فوجد سيدي أبا يعزى بن أبي زيان البكاري يزور، فأخذ بلغته وخرج.

فقلت للشيخ ﷺ في ذلك.

فقال: الفرق بين أخذ الولي والسارق الحجاب وعدمه، فسيدي منصور لكونه قطبًا مشاهدًا البلغة له، ورآها في اللوح المحفوظ من قسمته، وسمع الأمر من الحق ﷻ بأخذها، يحل له الأخذ كيف أمكنه، والسارق محجوب غافل عن ربه.

ثم حكى حكاية سيدي عبد الرحمن المجذوب ﷺ في الثور الذي قبضه أصحابه، فأمرهم سيدي عبد الرحمن بذبحه وأكله، وامتنع سيدي يوسف الفاسي وارثه من أكله، حتى جاء ربه فأخبرهم أنه صدقة لسيدي عبد الرحمن وأصحابه.

* **قلت**: وهي حكاية مشهورة، وكذلك سيدي أبو يعزى السابق لو أمكنه أن يعطي بلغة من لحمه لسيدي منصور لفعل ـ أعاذنا الله من سوء الانتقاد على الكمّل من العباد ـ فهذا ما أردنا أن نذكره في هذا الباب، نفع الله به آمين.